خولة : (معاتبة في دلال) رومانوس . أقصِرْ يا رومانوس !

رومانوس : والذي نفسي بيده اني لأقولُها مخلصاً من صَميم قلبي تلك ارادةُ الله اذ هيأَنا لفتْح العالَم ووعدنا ان يُظهِرَ دينَه على الدين كله . أن يُنشِىءَ من مختلِف شعوب الأرض على اختِلافِ الوانها والسنَتِها أمةً جديدة هي أمةُ الاسلام خيرُ أمة اخرجت للناس .

(ينظر الجميع إلى رومانوس معجبين)

عمرو : ما أحسن ما قلت يا أبا الروم . لقد نعتك أمير المؤمنين بالحكمة ولقد والله صدق أمير المؤمنين .

موقع الأديب
★ علي أحمد باكثير ★
www.bakatheer.com

المشهد الثامن

معسكر المسلمين في قرية أم دُنين على النيل من الغرب ، وعلى خليج تراجان من الشرق وحيث يقوم الحصن الروماني الذي استولى عليه المسلمون .

الوقت أول الليل . يرى جماعة من نساء المسلمين جالسات حول موقد نار . وأم رافع جالسة بينهن وهن منهمكات في اصلاح زينتها وتسريح شعرها وتضفيره وتزجيج حواجبها .

أم ذر : اسرِعْن قليلاً يا نساءَ المسلمين قبل أن يستيقظ الرجالُ من نومهم .

ريطة : دعينا نُحسِنْ زينَتها يا أم ذر . ان هذه ليلة أم رافع وابي رافع !

أم ذر : لو اقلَلْتُنَّ من الحديث لامكنكن ان تحسِنّ زينتها وتسرِعْن كذلك .

ريطة : ويحك يا أم ذر وهل يطيبُ لنا العمل إلا بالحديث ؟

أم ذر : لو ذكرتُنَّ اللهَ كان أفضل لكن ..

ريطة : للحديث وقتٌ . ولذكر الله وقت . وهذه صفيةُ بنت أبي عبيد من قومي فانا اسالها عن أهلي ومعارِفي في ديارِ ثَقيفٍ فهل ترَيْن بذلك من بأس ؟

أم ذر : لا بأس ان شاء الله يا أم عبد الله الاَ تعلمْن أين ذهبت أم حرام بنت ملحان ؟

صفية : انا رأيتُها سارت في هذا الوجه !

أم ذر : ومعها أم ايوب وام الدرداء ؟

صفية : نعم .

أم ذر : كيف تركْنني وأنا بالأَشْوَاق إلى ام حرام وحديث ام حرام ؟

(يتضاحكن)

أم ذر : ماذا يضحِكُكُنَّ ؟

ريطة : أنت ايضاً تُحِبِّين الحديثَ يا أم ذر !!

أم ذر : (تضحك) ويحكُنّ وهل أنا إلا واحدة منكن ؟ (تهم بالخروج) .

ريطة : إذا وجدْتِ ام حَرام وصاحبَتَيْها فادعِيهِن ليشتركْن معنا في عملنا وحديثنا.

أم ذر : أجل والله انه لعمل صالح (تخرج)

ريطة : وحديث صالح !

صفية : خبريني يا أم عبد الله .. أكثيراً ما يامرهم ابو عبد الله بنومِ النهار وأول الليل ؟

ريطة : لا يا صفية . انما ذلك عندما يتوقَّع غدْرَ العدو أو مكيدته .

صفية : ماذا يخشى اليوم وقد استَوْلى على هذا الحصن وطردَ العدو منه ؟

ريطة : ان العدو قد هدَمَ اسوارَه قبل ان يُخْلِيَه .

صفية : ولكن حالَنا اليوم بعد الاستيلاء عليه خيرٌ من حالنا قبل ذلك .

ريطة : والله لا أدري يا صفية . إذا جاء أبو عبد الله فاساليه . أم رافع : مـا بالك صامتةً لا تنبِسين بكلمة ؟

أم رافع : ماذا أقول يا أم عبد الله؟ اني والله لخَجْلى.

ريطة : خجلى . مِمَّ يا هذه تخْجلين ؟ أوقد خُيِّل اليك انك حقاً عَروسٌ مجلوَّة ؟

أم رافع : انتنَّ اللواتي جعلتُنَّني كذلك فاشعَر تُنّي بذلك .

(تدخل ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب)

ريطة : يا ابنة عمّ رسول الله ما هذا الذي بيدك ؟

ضباعة : قليلٌ من الحنَّاء عجنته لأم رافع .

ريطة : لقد كملت اذن .. عروس مجلوة حقـاً لا يُعْوزُهـا الا أن نزفَّها بالدُّفوف إلى ابي رافع . تعالَي يـا صفية . ضفِّري انت شعرَها وأنا أحنّيها .

ضباعة : كلا يـا أم عبـد الله . أنا التي ساحنّيها ..

مُدِّي قدَميْك يا سلمى .

أم رافع : لا والله لا امد لك قدَميّ ابداً ..

ضباعة : فِيمَ يـا سلمى ؟ اتخشَينْ الا أحسن خِضَابَك ؟ اني والله لأحسِنُه خيراً من المواشِطِ .

أم رافع : ما يكون لي ان ادعك تُخْضِّبين لي .

ضباعة : ويلك يا سلمى أي بأسٍ في ذلك ؟

أم رافع : أنا مولاةُ رسول الله ﷺ وأنت ابنةُ عمِّه فانا مولاتك .

ضباعة : ويلك ألم تعلمي ان مولَى القوم منهم ؟ هكذا قال رسول الله ﷺ .

ريطة : دعيني انا أخْضب لها يا أم كريمة .

ضباعة : لا والله .

ريطة : أنا أيضاً احسن الخِضَاب .

ضباعة : ويحك يا أم عبـد الله ألم تسمَعِي ماذا قالت ؟ فكيف توافِقِينَها عـلى ذلك ؟

تزعمُ انهـــا مولاةُ رسول الله ثم لا تعمل بهَدْي الرسول .

ريطة : صدقت يا ضباعة . مدّي لهـــا قدميك يا أم رافع .

أم رافع : لا داعي إلى الحنّاء يا ام كريمة .

ضباعة : مدي قدميك والا فوالله لافرَغنّه على رأسك .

ريطة : كلا يا ضباعة لا تفسِدي ما كنا نصلح فيه منذ المغرب .

أم رافع : يا مولاتي .

ضباعة : ويلك ليس هذا من اجلك أنت بل من اجل أبي رافِع . قدميك !

(تمد ام رافع قدميها فتأخـــذ ضباعة في خضابها) .

(تدخـــل الصواحب الاربع ام ذر وام الدرداء وام ايوب وام حرام) .

ام ذر : ألم تَنْتَهَيْن من عملكن ؟ وي ! ما هذا ؟ تخضبينها بالحناء ؟

ضباعة : حتى تكمل زينتُها يا أم ذر .

أم ذر : ضباعة . من أين اتيت بهذا الحناء ؟

ضباعة : جئت به معي من المدينة . اتحبين ان اخضب لك ؟

ام ذر : لا يا ابنة عم رسول الله . نحن في جهاد لا في عُرْس .

ضباعة : أما أنا فلا اتركه ابداً . ان زوجي المقدادَ يحبه ولا يطيق ان يراني بدون خضاب . والا عيَّرني بالتَّفَل وطَفِقَ يذكر لي نساء حضرموت وحبهن للزينة والتطرية .

أم ذر : ويحه أيذكر نساء حضرموت بعد وعنده ابنة عم رسول الله ؟

ضباعة : كلا يا ام ذر لست ادَعُ له سبيـــلاً إلى ذكرهن .

ام ايوب : هل لي في قليل منه ؟

ضباعة : خذي يا أم ايوب .

أم ايوب : لأناملي فحسب .

أم حرام : وأنا أيضاً يا أم كريمة .

أم الدرداء : أنت ما زال اثرُ الخضاب في يدك يا ام حرام.

أم حرام : لا بأس .. جديد على دارسٍ . ان عُبادَة يحب لونه ورائحته .

ضباعة : خذي يا ام حرام .

أم الدرداء : وأنا ايضاً يا ام كريمة .

ضباعة : خذي يا ام الدرداء . انكن يا نساء الأنصار تحببنَ الحناء .

ريطة : لعلك يا ام ذر تحبين أن تأتي بهن الساعة ؟

ضباعة : خذي يا ام ذر .

ام ذر : أنا لست اريده الساعة ولكن ان بقي عندك شيء من الحناء فاعطيني منه .

ريطة : ماذا تصنعين به يا ام ذر ؟

ام ذر : أدخره عندي حتى يتم لنا الفتح فأختَضِبَ به.

ريطة : إذن فسينتظر ابو ذر طويلاً بعد !

(يتضاحكن)

ام ايوب : احقاً يا ام عبد الله اننا سنعبُرُ هذا البحر إلى الضِّفّة الاخرى ؟

صفية : معاذ الله .

ريطة : مَنْ انبأكِ يا ام ايوب ؟

ام ايوب : سمعت .

صفية : كفانا الله شرَّ ذلك .

ريطة : فِيمَ التعوّذُ يا صفية ؟ ان يُرِدْ الله لنا ان نعبُره فسنعبُرَه .

ام الدرداء : ألم يبلغك ما فعل المسلمون يوم فتحوا ابْيَضَ كسرى اذ سَبَحُوا بخيولهم في البحر ؟

صفية : ويوم الجسر يا ام الدرداء ألم يبلُغْك ما حدثَ يوم الجسر ؟

(تدمع عيناها)

ريطة : يرحم الله اباك يا صفية . لقد اختارَ الله له الشهادةَ كما اختار لغيره النصر .

صفية : واكره شيء إلى أمير المؤمنين ان يركَب احدٌ بالمسلمين البحر .

(يظهر رومانوس مقبلاً من خلف الشجرة واذ يسمع الحديث يتوقف عن المسير) .

أم حرام : يَغفر اللهُ لامير المؤمنين . ان رسولَ الله لأرأفُ بالمسلمين من عمرَ وكان ﷺ يزورني كلما ذهب إلى قُبَاء فقال ذاتَ يوم في بَيْتي ثم استَيْقَظَ وهو يضحك وقال : عُرِضَ عليّ اناسٌ من امتي يركبُون ظَهْرَ البحر الاخضر كالملوك على الاسِرة فقلت يا رسول الله ادْعُ الله ان يجعلَني منهم قال أنت من الأوّلين .

(يتقدم رومانوس وخلفه يونس)

رومانوس : السلام عليكن .

ريطة : وعليك السلام يا أبا الروم .. ماذا وراءك ؟

رومانوس : قد آن لكنّ أن تأوَيْن الى داخل الحِصْن .

ريطة : سمعاً يا أبا الروم . هلم يا نساءَ المسلمين .

(ينهضن ليخرجن)

رومانوس : بالله يا أم حرام اعيدي عليّ حديث رسول الله الذي روَيْتِه الآن .

ام حرام : عرض عليّ اناس من أمتي يركبون ظهر البحر الاخضر كالملوك على الاسرة فقلت يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال أنت من الأولين .

رومانوس : جُزيتِ الخيرَ يا أم حرام .

ريطة : هيا بنا إلى الحصن .

(تخرج النسوة واحدة بعد واحدة)

رومانوس : (ليونس) سمعت حديث النبي يا يونس ؟

يونس : نعم .

رومانوس : لقد كنت أقول لنفسي دائماً : ان الاسلام لا ينبغي ان يخافَ من البحر . كيف يخاف دينُ الله من بحْر الله ؟ فالحمد لله إذ سمعتُ اليوم هذا الحديثَ !.. ويلك امـا زلت تحمل هذا الصليبَ في صدرك ؟ ألم اقل لك ان ترميَـه عنك ؟

يونس : هدّية منها يا أبا الروم احمِـلُها على سبيـل الذكرى فأيُّ باسٍ في ذلك ؟

رومانوس : هذه شارةٌ لا يحملها إلا النصارى .

يونس : انها ليست عندي غيرَ تذكار من أرمانوسة .

رومانوس : يونس .. اياك ان تَحِـنّ إلى دينِـك القديم .

يونس : مَعَـاذ الله يا أبا الروم .

(يقبِّـل الصليب)

رومانوس : وتقبله يا يونس بعد ؟

يونس : انَّمـا اُشمُّ فيه ريحَ ارمانوسة !

رومانوس : يا ليتك تسْـلُو حبهـا يا يونس . لا ينبغي يا ولدي أن تحب بلا أمل .

يونس : حيث يوجد الحب يا ابا الروم يوجد الأمل.

رومانوس : انك تعرفُ شطا بن الهاموك ؟

يونس : نعم .

رومانوس : وتعرفُ انه قاتَلَ الروم معنا في الفَـرَما حتى جُـرِحَ ؟

يونس : نعم .

رومانوس : وانـــه معنا حتى اليوم وهو في حِصْـنِ بَابِلْيُـون ؟

يونس : نعم .

رومانوس : وانه ابن خالةِ ارمانوسة ؟

يونس : نعم .

رومانوس : وانه يحبها وانها تحبُّـه ؟

يونس : نعم نعم ..

رومانوس : فكيف بالله تحـلُم بها بعد ؟

يونس : سمعت يا ابا الروم بيودوقيا ؟

رومانوس : نعم .

يونس : وعلمتَ أن اباها قتلَها في مَرْج الدِّيباج ؟

رومانوس : نعم .

يونس : وأن المسلمين صلُّوا عليها ودفنُوها في قبرٍ هناك ؟

رومانوس : نعم .

يونس : فقد كنت أحلُم بها زمناً بعد ذلك .

رومانوس : كنت تحلم بلقائِها في الجنَّة يا يونس .

يونس : أليس اللهُ بقادر يا ابا الروم ان يُهْبِطَ الجنة إلى الأرض ؟

رومانوس : يونس .. اننا على ابواب عالم جديد ونحن يا يونس بُناةُ ذلك العالَمَ الجديدَ فلا ينبغي أن ندَعَ هذه الصغائِر تشْغَلُنا عن ذلك الهدَف الكبير .

يونس : (في أسى) ويل الشَّجيِّ من الخَلِيِّ !

رومانوس : هاهم اولاء قد أقبلوا .

(يخفي يونس الصليب بين ثيابه)

(يدخل عمرو وابن عمرو وعبد الله بن عمر والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت) .

عمرو : آه لو جاءنا مدَدُ امير المؤمنين اليوم . اذن لانكَشَفَتْ عنا هذه الغُمَّةَ .

المقداد : ليس لنا ان نعتمدَ اليوم على هذا المدد .

عمرو : ألم تخبرني يا أبا عمرو أن امير المؤمنين قد عهد إلى الزبير بن العوام ان يندُبَ الناس ليكونوا معه في المدد الكبير إلى مصر ؟.

المقداد : بلى .

عبادة : وكان ذلك قبل ان تفصل من المدينة بزمن.

عمرو : فما الذي اخر قدوم الزبير حتى اليوم ؟

المقداد : القحْطُ الذي حدَّثْتُك عنه يا أبا عبد الله والذي بدأ يشتدّ في بلاد العرب .

عمرو : ذلك احْرَى ان يدفَعَهم إلى التعجيل

بالرحيل .

المقداد : والظَّهْرُ يا عمرو اليس يحتاجُ هذا المدَدَ إلى الظهر ؟

عبادة : أجل لا ريْب عندي ان الذي عاقَهُم عن المسير انما هو قِلَّة الظهْر وصعوبةُ الحصول عليه .

عمرو : (يشير إلى النيل) انظروا .. اني لا اخاف إلا من هذا البحْر ..

المقداد : أن يجيئَك العدو منه ؟

عمرو : بالليل ونحن نائِمُون أو غافِلوُن .

عبادة : فقد نمنا اليوم بالنهار فلن ننام طول الليل .

عمرو : لكن عدَدَنا قليلٌ فكيف نحرس هذا البحر الطويل ؟

المقداد : قاتلهم الله لقد هدَمُوا الأسوارَ التي كانت حول الحصن .

ابن عمرو : اهذا حصن أمُّ دِنين الذي كبَّدْتَ المسلمين

ما كبَّدَتهم من أجله وقلْتَ لنا اننا هالِكون ان لم نستَوْلِ عليه ؟

عمرو : أجل .. لو لم نستول عليه لكنا بعرض هلكة .

ابن عمرو : فهل كفانا الآن شر الهلكة ؟ هل وجدنا فيه الأمن الذي نبتغيه ؟

عمرو : اجبه يا أبا الروم فان صدري يضيقُ بجداله .

ابن عمرو : ان كنت لا تريد ان تستشيرَنا فعلامَ جمعتنا ؟

عمرو : اجبْه يا أبا الروم .

رومانوس : يا أصحاب رسول الله ينبغي ان تعلموا انّا بازاء ثعْلب ماكرٍ حُوَّلٍ قُلَّب .

ابن عمرو : تعني الاطربون .

رومانوس : اجل .. فأميرُنا يَسير وراءه خطوةً خطوة ليحبِطَ ما يكيد وينقُضَ ما يُبْرم .

ابن عمرو : لو كان قتله يوم بلبيس لأراحَ المسلمين من شرّه ولكنه أطلَقَ سراحه دون فِدْية

فأضاعَ على المسلمين فديته واستبقى لهم عداوته ومكره وغدره حتى اليوم .

عمرو : يا بني .. اني لأُوثِرُ ان اقاتِلَ الرجل الداهيةَ الواسع الحيلة على ان اقاتِل الرجلَ الخامل البليد فعسى ان استخرج ما في رأس الداهيةَ فأتّقي مكايده بخلاف الخامل البليد الذي لا تعرفُ أين تجده وأين لا تجده .. ثم ان اطلاقَ سراحه على تلك الصورة قد غضَّ من مَقامه عند الروم وجعلَهم لا يكُفُّون عن تعْييره بأنه ليس لي بنِد .. وسيحمله هذا على المبالغة في ضرُوبِ الكيد والحيلة فيقع بذلك في مزالِقَ تُودِي به ان شاء الله !

ابن عمرو : لله انت يا اطربون العرب !

عمرو : اتدرون إلى م كان العلجُ يريد أن يدفَعنا ؟

القوم : إلى م ؟

عمرو : إلى حيثُ يريد ان يدفَعنا عبدُ الله ابن عمرو .

ابن عمر : إلى الرِّيف .

عمرو : اجل لنجِدَ انفسَنا بين الترع والقِنِّي وقد حِيل بين بعضِنا وبعض فيتخطَّفونا من كل جانب ويبلُغوا منا ما يشتَهُون .

ابن عمر : فهلا سلكْتَ بنا سبيلاً آخر غيرَ الريف وغيرَ ام دنين .

عمرو : لم يكن أمامنا دون هذين غيرُ الصحراء نعود اليها ونلُوذُ بها إلى ان يأتِينا المدَدُ من امير المؤمنين .

ابن عمرو : اذن لكانَتْ أهدى سبيلاً من ام دنين .

ابن عمر : كلا يا عبد الله بن عمرو لا ينبغي ان ننكِصَ على أعْقابِنا فنجرّىءَ علينا العدو .

ابن عمرو : فقد جرأنا العدو علينا الآن بما قلّ من عددنا

على أثر هذه المعركة التي قُتِل منا فيها خلقٌ كثير .

رومانوس : ان قُتِلَ فيها كثير منا فقد قتل فيها منهم اكثر . ولا يجرّىء العدو عليك مثل فِرارك .

ابن عمرو : انّا نريد يا أبي ان نعرفَ الآن ماذا نحن فاعلون بعد ان استولينا على أم دنين ؟

المقداد : أجل يا أبا عبد الله .

عمرو : اني ما جمعتكم الا لذلك . لا محيصَ لنا من العبُور إلى الضِّفة الاخرى .

ابن عمرو : أفكان استيلاؤُنا على أم دنين من أجل ان نتخذَها معْبراً إلى الضفة الثانية ؟

عمرو : اجبه يا رومانوس .

رومانوس : كلا لم يكن ذلك هدفنا في أول الأمر ولكن لما وجدناهم قدموا الاسوار وادركنا ان الاطربون يريد ان يبيّتنا من جهتي البر

والبحر في وقت واحد رأينا أفضلَ لنا أن نعبُرَ إلى الضفة الثانية فنخرجَ من هذه الورْطة التي نحن فيها ونشغل جندنا بالقتال في أرض سهلة .

عبادة : وما يدريكم انها أرضٌ سهلة ؟

عمرو : قد مرّ بها ابو رافع حين صَعَد إلى أعْلى الوادي وحين هَبَط راجعاً فحدّثَنا انها أرض سهلة خَصْبة يقال لها الفَيّوم كثيرة الغِياض والآجام تحيطُ بها ارضٌ صحراوية نستطيع ان نلجأ اليها عند الضرُورَة .

عبادة : ولكن كيف نعبُر هذا البحر ؟ من أين تأتون بالسفن ؟

عمرو : ان اراد الله بنا خيراً وفّق ابا رافع في مهمته .

رومانوس : لقد تأخر ابو رافع أيها الامير . كان ينبغي أن يعود الينا عند سقوط الليل .

عمرو : صدقت . آه لو كنت أحسِنُ الرومية .

ابن عمرو : ماذا كنت تصنع يا ابي ؟

عمرو : لانطلَقْت ابحثُ عنه .

صوت : (يسمع من خلفهم) أنا احسنُ الرومية أيها الأمير ..

(يراع الجميع)

عمرو : ابن حُذافَة !. ويلك اكنت تسمع حديثنا؟

ابن حذافة : (يدخل) نعم كنت مختبئاً خلفكم اتسمَّع .

عمرو : ويلك ما حملك على ذلك ؟ هلا انْضَمَمْت الينا من أول الأمر ؟

ابن حذافة : لكي تعلموا ان للشجر آذاناً تسمع .

عمرو : صدقت .

ابن حذافة : اين اذهَبُ لأبحثَ عن ابي رافع ؟

ابن عمرو : هاهوذا ابو رافع قد اقبل !

عمرو : الحمد لله .

ابو رافع : (يدخل) أبشِرْ يا عمرو .

عمرو : ماذا وراءك؟هل لَقِيتَ الاسْقُفَ صاحبَ بنيامين ؟

ابو رافع : نعم اتدري ماذا قال لي ؟ قال لي : لو أمرَنا البطريق بنيامين ان ننقُل لكم حجَرَ المقطّم كله لنقلْناه .

عمرو : والسُّفُن ؟

ابو رافع : ستكون هنا الليلة في الثلث الأخير من الليل.

الجميع : الليلة ؟

ابو رافع : نعم .

عمرو : كم عدد السُّفُن ؟

ابو رافع : كثير .. جميع البحارة في هذه الناحية سيأتون بسفنهم فتحملُكم وخيولكم إلى البر الآخر .

عمرو : هات رأسك يا مولى رسول الله اقبله (يقبل رأس أبي رافع) يا قوم قبلوا رأسَ هذا الذي انقَذَ المسلمين !

ابن حذافة : (يعترض دون أبي رافع) عـلى رِسْلكم يا قوم . تكفيه قبـلَةُ الأمير . دُعوه ينطلقْ إلى أهله فانه لم يلْـقَـهـا منذُ اربعة أشهُـر .

القوم : ويحك يا ابن حذافة . نريد نحن أيضاً أن نقبّـلَ رأسه .

ابن حذافة : ان ابَيْـتُـم الا ان تعْـبَـثُـوا برأس فدونكم رأسي قد تطـوّعْت به لكم فقبّـلوه !

(يضحكون)

المشهد التاسع

هو كبير في حصن بابليون ..
يرى المقوقس وعنده الاطربون وتيودور وغيرهما من قواد الروم .

الاطربون : جمعتنا اليوم ايضاً لنفاوضَ وفد العرب ؟

المقوقس : نعم يجب قبل حضورهم ان نتفقَ على شيء. اطيعوني يا قوم والذي يُحْـلَـفُ به لو ان هؤلاء استقبَـلُـوا الجبالَ لازالُوها وما يقوى على قتالهم احد .

الاطربون : اتدعونا إلى التسليم لهم ؟

المقوقس : بل إلى الصُّلح الذي عرُضوه . انهـم يحاصرونا من كل جانب وقد ملكُـوا علينا مدينةَ مصر فنحن في الضيّـق وهم في السَّـعَـة ولولا هذا المدُّ لاقتحموا خنادقنا التي تحمي

الحصن . وهذا المد لن يبقى طويلاً فإنه يوشك ان ينحسرَ .

اودوقيانوس: اذا انحسر جعلنا في الخنادق حَسَكَ الحديد

المقوقس : اطيعوني يا قوم لئن لم نُغتَنِمْ صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يُجيبُونا بعد اليوم اذا امكنتْهم الارضُ فانْتَشَروا من موضعهم إلى حيث يريدون .

الاطربون : لعلك اشترطت ان يحضُرَ عمرو على رأسهم هذه المرة ؟.

المقوقس : ما اشترطت ولكن رَجَوْتُ .

الاطربون : لماذا لم تشترط ؟

المقوقس : لا يصح .

الاطربون : وهل يصح له أن يبعث ذلك العبْدَ العِمْلاقَ على رأس وفده ليُرْهبَك بطوله وسواده ؟

المقوقس : قد رأيت يا اطربون كيف انكرت عليهم

ذلك يومئذ فأخجلوني بجوابهم اذ قالوا ان الرجل عندهم بصلاحه وكفايته وامانته وليس بلونه او منظرهِ او هَيْئَتِه ثم اخجلني ذلك الأسودُ حين تحدث معي فبَهَرَني بعقله وحكمته وحِلمه وتُؤدَته .

الاطربون : والله لا ادري علامَ نجتمع بهؤلاء بعد ؟ ليس لديهم غيرُ الثلاث الخِصالِ التي يرددونها : الاسلام أو الجزية أو القتال .

المقوقس : فلْنَخْتَرْ اليوم افضلَها لنا وأهونَها علينا.

الاطربون : لا شكَّ ان اهونَها الاسلامُ .

المقوقس : معاذ الله يا اطربون. لاندعُ دينَنا وندخلُ في دين غيره .

الاطربون : لم لا ؟ انه لن يكلِّفَنا شيئاً بل سيمنحُنا أشياء .

دومنتيانوس: أيها المستَخِفُّ بدين المسيح لأرفعَنَّ أمرَك إلى القيصر .

الاطربون : (في جزع) رويدك يا دومنتيانوس وحياة قيصر ليس هذا عن استِخْفافٍ .

دومنتيانوس: تيودوسيوس . لِمَ تنظر شَزْراً إليَّ ؟

تيودوسيوس: (في استخذاء) شزراً ؟ لا والسيد المسيح .

دومنتيانوس: ما خطبك ؟

تيودوسيوس: لا شيءَ يا أخي لا شيءَ .

دومنتيانوس: (للاطربون) هيه ماذا قصدْت اذن ؟

الاطربون : ان نعلنَ لهم اسلامنا رَيْثما يخرجون من أرضنا ثم نعودُ إلى ديننا بعد ذلك .

المقوقس : كلا يا اطربون . من ارتَدَّ عن دينه لحْظةً فقد ارتدَّ إلى الأبد .

الاطربون : ومن ذلَّ لعدوه مرة فقد ذل له إلى الأبد .

المقوقس : ان ذُلاً يا اطربون اهونُ من ذل .

الاطربون : بل الذل درجة واحدة .

المقوقس : كلا لأن تدفَعُوا لهم في العام ديناراً أو دينارين وأنتم آمِنون على دينكم وعلى

أنفسكم واموالكم وذراريكم خيرٌ من ان تصِيرُوا عبيداً تباعُوا وتمزَّقُوا في البلاد مستعبدين ابداً انتم وأهلوكم وذراريكم .

الاطربون : أليس خيراً من ذلك يا سيدي البطريق ان نقْبُرَهم في أرض مصر أو نخرجهم منها صاغِرين ؟

المقوقس : بلى لو كان لكم بهم طاقَة ولكنكم قاتلتُمُوهم فغلبوكم في كل مرة .

الاطربون : ما كانوا ليغلِبُونا لو لم يكن بيننا المخذّلون والمعوّقون ودعاة الهزيمةِ والتسليم .

المقوقس : من ذا تعني يا اطربون ؟

الاطربون : اعني مَنْ أعني !

المقوقس : اسالكم بالله يا قوم اخذَّلتُكم عن الخروج للقاء العدو في عَيْنِ شمس أم حرَّضتكم عليه ؟

الجماعة : بل حرَّضتنا أشدَّ تحْريض .

المقوقس : والاطربون أكان في المُحَرِّضين ام في المُخَذّلين ؟

الجماعة : كان في المخذلين .

الاطربون : اتسمُّون ذلك تخذيلا يا قوم ؟ انما كنت ادعوكم إلى مطاوَلتهم حتى يكلّوا أو يملّوا أو يحدث في خلال ذلك امرٌ .

المقوقس : عجباً لك يا اطربون . انك تعرفُ هؤلاء العرب من عهد الشام افتراهم من الذين يكلّون أو يملّون ؟

الاطربون : قلت : أو يحدث في خلال ذلك أمر .

المقوقس : أيُّ أمر يحدث ؟

الاطربون : ما كانت لتحيقَ بنا تلك الهزيمة المُنكَرة على كل حال .. الهزيمة التي لم يُسْمَع بمثلها من قبل .

تيودور : لو كنت أنت الذي قُدْتَ المعركة يا اطربون لما بالَغْت في تَهْويل هذه الهزيمة

انها ليست باكبَرَ من هزيمتك في بلبيس من قبل .

الاطربون : ما خسِرْنا في معركة بلبيس غيرَ الفِ قتيلٍ وثلاثةِ آلافِ اسيرٍ فكَمْ خسرتم في معركة عين شمس ؟ سبعَة آلافِ قتيلٍ غيرَ الوف الأسْرَى وغير مدينة مصر التي سقطَتْ في يد العدو بغير قتال وغير اثْريب ومُنُوف وما بعد اثْريب ومُنوف

دومنتيانوس: كلا لن ادَعهم يستولُون بعدهما على شِبْر واحد . لأُرابِطَنّ بنقْيوس فلأُحولَنّ دون تقدم العدو صوبَ الشمال .

تيودوسيوس: أتريد أن تترك الفيّوم وتذهب إلى نقيوس؟

دومنتيانوس: أريد ؟ اني قد تركت الفيوم وأنا في طريقي إلى نِقْيُوس .

تيودوسيوس: دون أن تستاذِنَني ؟

دومنتيانوس: وهل استاذَنْتَني أنت إذ تركت الفيومَ

لِتَشْتَرِكَ في هزيمة عين شمس ؟

تيودوسيوس: ما خطبك اليوم يا دومنتيانوس؟ أنت حاكمُ المدينة وأنا حاكمُ الأقليمِ كله .

دومنتيانوس: احكُم المدينة أنت أيضاً فقد نزلت عنها لك .

تيودوسيوس: أنت لا تملك ذلك .

دومنتيانوس: هل يملك قيصرُ ذلك ؟

تيودوسيوس: قيصر يملك كلَّ شيء .

دومنتيانوس: اذن فساكتب إلى قيصر فيوافِقُني على ما اريدُ .

(يسكت تيودوسيوس)

الاطربون : اتراني يا تيودور قد بالغْتُ في تهويل هزيمتكم في عين شمس ؟ لقد اصبح العدوّ بفَضْلها يُحيطُ بنا من كل جانب من الجنوب ومن الشمال ومن الشرق .

انستاسيوس : لو أنصفْتَ يا اطربون لاعترفْتَ بأن

هزيمةَ عين شمس كانت من عَملِ يدِك .

الاطربون : من عمل يدي ؟ ما سمعت والله فِريةً اجرأ ولا أوضحَ . لقد كنتما أنت وتيودوسيوس على الخيل يوم المعركة فهل كنتُما تتلقيّانِ الأوامر مني أم من تيودور ؟

الاثنان : بل من تيودور .

الاطربون : فكيف يزْعم انستاسيوس ان الهزيمةَ من عمل يَدِي ؟

انستاسيوس : أنت عَزلْتَ خُيُوطَها يوم هزيمتك في بلبيس ، ثم نسَجْتَها يوم هزيمتك في أمِّ دِنين ثم فصَّلْتَها واكمَلْتَها يوم تركْتَ عَمْراً يَعْبُرُ بجيشه وخيله من الضِّفّة إلى الضِّفّة مرتين .

تيودور : مَرْحى يا انستاسيوس !

تيودوسيوس: لقد اصبتَ كَبِدَ الحقيقة !

الاطربون : رُوَيدكم . لو كان صاحبكم هذا يُجيدُ

فن القتال كما يجيدُ فنَّ الكلام لرُبَّما انقذكم من الهزيمة ذلك اليوم .

انستاسيوس : أنا ادْمَغُك بالحقيقة وأنت تَروُغُ منها بالسُّخْرِيَة !

الاطربون : لقد جمعتم إلى العجْز والضَّعفِ الجهالةَ والغُرُور . والا لأدركتم ما انطَوَت عليه معركةُ أم دنين من عِبْرة وعَجَب . لقد خسِرَ عمروٌ فيها من رجاله ما لم يخسَرْ في سائرِ معاركه مجتمِعَةً .

تيودوسيوس : ومع ذلك تركْتَه ينتزع منك الحصنَ وكان في وُسْعك أن تمنعه .

الاطربون : يا هذا لقد رأيتُه في ضعفٍ وقِلةٍ من رجاله يومئذ ورأيته يستَميتُ للاستيلاء على الحصن فعرفْتُ انه يريد التحصُّنَ به ريثما ياتيه المدَدُ المنتظر فرأيْتُ أن أُخلِّيَه له بعدما هدمت الاسوار من حوله

لاتركَهُم ليلة أو ليلتين ثم أبيّتُهم من البر والبحر معاً فأُبيدَهم على بَكْرَةِ أبيهم.

تيودور : فهل ابدْتَهم على بكرة ابيهم يا أطربون ؟

تيودوسيوس: ام خدعك وعبَرَ بجيشه وخيله إلى الضفة الغربية ؟

الاطربون : ما كان ليفعل ذلك لو لم يكُنْ له بيننا جاسُوس هو الذي انذرَه .

اودقيانوس : أجل هذا حق وإلا فكيف استطاع ان يتصل بنقيب المَلاّحين حتى حشد له جميعَ تلكَ السفن ؟

المقوقس : من الانْصافِ ياقوم ان تعرفوا للاطربون فضلَه ودهاءَه في هذا الذي رَسَم وقدّر وأن تَعْذُروه فيما أخطَأه من النجاح .

انستاسيوس : حقاً لا باسَ ان نعذُرَه في هذه المرة الاولى ولكن كيف نعذره في المرة الثانية ؟

تيودوسيوس: آه لو حيلَ بين عمرو وبين المدَدِ الكبير

الذي جاءه اذن لكان لنا معهم شأنٌ آخر .

انستاسيوس : فرصةٌ لا تعوَّضُ اضاعها الاطربون إلى الابد .

تيودور : انظروا إلى غفلته إذ تهيَّب الحامية التي تركها عمرو بحصن أم دنين ظناً منه انها حاميةٌ قوية ثم اتَّضحَ فيما بعد ان ليس في الحصن سوى ثلاثة رجال وثلاث نساء.

الاطربون : كلا والله ما تهيَّبْت تلك الحامية ولو شئت لهاجمت الحصن فاستردته ولكني تركته عمداً لأوهمَ عمراً انني اتَّقيتُ مهاجمة الحصن هيبةً لمن فيه فيرجعُ حين يرجع من خلاله . فاذا هو يعبر من مكان آخر في النيل ، وإذا قصدُه من وَضع الحامية القليلة فيه ان يُوهمني بانه محتاجٌ إلى الحصن ليعبر في الرجعة من خلاله . وهكذا تَروْن يا قوم ان هذا الرجل كالثَّعْلَب بل هو أمكرُ .

تيودور : اذن فلا لومَ علينا في هزيمة عين شمس . لقد كان الثعلبُ يحاربنا بكل دهائه ومكره . ألم ترَ كيف اوهمنا انه يقاتلُنا بجميع جيشه فلما اشتبكْنا معه في القتال إذا كتيبتان له تنقضَّان علينا فجأة احداهما من الجبل والاخرى من أم دنين .

الاطربون : أيها القائدُ الأعلى هذه ليست من المكرُ والدهاء في شيء ولكنها براعةٌ في اساليب الحرب وفنونِ القتال .

تيودور : (في غيظ) هذا عيبُك يا اطربون .. تزعم لنفسك الامتيازَ على غيرك دائماً حتى في الهزائم .

الاطربون : أيها القائدُ الأعلى . ان الهزائم لتتفاوت أيضاً كما تتفاوتُ اقدارُ الرجال .

(يدخل أحد الحجاب)

الحاجب : معذرة أيها السادةُ هذا السجّانُ يستأذنُ

عليكم .

المقوقس : دعه يدخل .

(يدخل السجان)

ماذا وراءك ؟

السجان : النّقِيبُ الخائنُ يا سيدي البطريق يريد أن يعترفَ .

المقوقس : نقِيبُ الملاحين ؟

السجان : نعم .

المقوقس : (ينظر في وجوه الحاضرين) ماذا تَرَوْن أيها السادة ؟

الاطربون : هاتوه هنا لنسمَعَ جميعاً اعترافه .

المقوقس : احضره هنا .

(يخرج السجان) .

اودوقيانوس: عجباً .. لقد وُضِع في العـذاب عشرين يوماً فلم يتفوَّهْ بكلمة واحدة . تُرَى ماذا دَهاه اليوم ؟

الاطربون : من حسن الحظِّ انكم لم تقتلوه والا لَمضى بِسرِّه إلى الأبد .

اودوقيانوس: اجل لقد كان خطأً منا ان قتَلْنا الاولَ .

الاطربون : تُرى من يكون الجاسوسُ الذي اتخذه عمرو ؟

اودوقيانوس: لا شك انه من هؤلاء القِبْط .

دومنتيانوس : لِمَ لا يكون من الرُّوم يا اودوقيانوس ؟

اودوقيانوس : كلا يا أخي هذا محالٌ .

دومنتيانوس : لم لا ؟ أليس من الروم ذلك الذي اختطَفَ خطِيبَتي ارمانوسة في طريق بلبيس وفرَّ بها على جواده ؟

(ينظر إلى الاطربون) .

الاطربون : يا أخي قد شرَحْتُ لك هذا الامر من قبل . أنا اوعَزْتُ اليه بذلك لّما رأيتُ القتال قد نَشِب بيننا وبين أولئك العرب لأحمِيها من خطر المعركة .

دومنتياس‌نو : هيه أوَقَدْ ظنَنْتَني صدقت اكذوبَتك ؟ انما دَبَّرتَ اختطافَ ارمانوسة من القافِلة لِتلصِقَ التهمـــة بحُماتِها العرب . ولولا ذلك الفارس العربي الذي استنقذَها من المجْرمِ الرومي لكان الله وحده يعلم ماذا كان يكون مصيرُ ارمانوسة ؟

المقوقس : رويدك يا دومنتيانوس . هذا أمْرٌ قـــد مضى وانقضى فـلا ينبغي ان تثيرَه مرة أخرى والحمد لله اذا سَلِمَت ارمانوسة من السُّوء .

دومنتيانوس: والله لولا خاطرك يا خـــالي البِطْريق لرفعت هذا الأمرَ إلى القيصر .

المقوقس : كلا يا ولدي .. لقد اوضح الاطربون انَّه لم يكنْ يريد بها إلا خيراً ومن حقه علينا ان نصدِّقه .

الاطربون : شكراً يا سيدي البطريق .

(يعود السجان ومعه رجل كَهْلٌ من القبط عليه آثار العذاب) .

المقوقس : اسمك مَتّى ؟

الرجل : نعم .

المقوقس : قلْ ما عندَك .

متى : انكم وعدتُموني باطلاق سَراحي ان أخبرتُكم باسم الذي اوعَزَ إلي بما فعلتُ ؟

الاطربون : نعم .

متى : اتحلِفون لي بذلك ؟

الاطربون : نعم احلف لك بذلك .

متى : احلفوا انتم جميعاً .

اودوقيانوس: أيها الكلْبُ . ألا تصدّقُ السيد الاطربون؟

متى : أبونا البطريقُ الأكبر بنيامـــين هو الذي أمرني بذلك وليس لي أن أعْصِيَ أمرَه .

اودوقيانوس: ألم أقل لكم ان هـــذا كلَّه من عمل ذلك البطريق ؟ لقد تركنـــاه بُرْهة فاغتَرّ

واطمأنّ . فلنَسْتأنِفْ البحثَ عنه بكل سبيل حتى نجدَه فنقطعَ رأسه .

تيودوسيوس: أجـــل لا فائدةَ من ضرْب الحيَّةِ ما لم يُقْطَع رأسها .

انستاسيوس : اعلنوا جائزةً كبيرة لمن يأتيكم برأسِه .

المقوقس : كلا يا قوم أتريدون ان تُثيروا القبطَ علينا ثورة عمماً والعدو بين ظَهْرانَيْنا ؟ اذن لا نثْبُتُ لهم ساعة من نهار .

تيودسيوس : ألا ترى كيف يحرّضُ علينا القبطَ ؟

المقوقس : هذا دأبه منذ كان ، وقد كنا نتغافَل عنه أحياناً إيثاراً للعافية وما يغزُو البلاد أحدٌ فكيف وبيننا اليوم هؤلاء الغزاة ؟

(ينظر إلى الاطربون كأنه يدعوه إلى الموافقة) .

الأطربون : لقد صدق السيد البطريق .. دعونا نسأل هذا الرجل من الذي ابلغه أمرَ البطريق

بنيامين ؟

اودوقيانوس: (للرجل) أجب .

متى : قد اخبرتكم باسم الذي أمرني وليس عليّ ان اخبركم باسم آخرَ .

الاطربون : اذن فخُذُوه وعذبوه حتى يموت .

متى : أترجع في كلامِك ؟ ألَمْ تحلفْ لي بذلك ؟ أم أنت ممن لا يؤمنون بالله ؟

الاطربون : انك لم تخبرْني بعدُ باسم أحد .

متى : قلت لك البطريق بنيامين .

الاطربون : انك لم تزدنا بـه علماً فنحن نعلم انه عدونا الاول وانه هو الذي يثير الناس علينا منذ كان . فان كنت تريد الحياة فأخبرنا باسم الذي ابلغك أمر بنيامين .

متى : كلا لا أفعل ابداً .. عذبوني ما شئتم أو اقتُلُوني ان شئتم فلن تسمعوا من فمي ذلك الاسمَ أبداً أبداً أبداً ..

الاطربون : سوقوه معي إلى البحر فاني أعرفُ كيف استلُّ ذلك الاسم من لسانه .

اودوقيانوس: هلمُّوا أيها السادة اشهدُوا معنا هـذه التجربةَ .

(ينهض الجميع ويخرجون خلف متى ما عدا شطا ودومنتيانوس) .

دومنتيانوس: ألا تحب أن تشهد التجربة معهم ؟

شطا : إني اشمَئِزُّ من ذلك .

دومنتيانوس: وكذلك أنا .. أين ارمانوسة ؟ اريد ان أراها .

شطا : سادعوها لك إن شئت (يهم بالخروج)

(تدخل ارمانوسة)

دومنتيانوس: اهلا نوسة !

ارمانوسة : (في احتجاج ودلال) مـا هذا ؟ اسمي ارمانوسة !

دومنتيانوس: وقتي قصيرٌ يا نوسة لا يتسع لاسمك كله ..

يكفيني بعضُه .

ارمانوسة : لو كنت تحبني حقاً لما ضِقْتَ باسمي .

دومنتيانوس: يا ليتني كنت ابن خالتك فاكونَ دائماً معك (ينظر إلى شطا) اذن لزدت في طول اسمك ولما دعوْتك إلا ارمـانوسة بنت ارمانوس .

(ينسلّ شطا خارجاً في ضِيق وغَيْرة) .

ارمانوسة : كلامٌ جميل آه لو كان سلوكُك مثلَ كلامك .

دومنتيانوس: كلامـي تسمعينه الآن لا حَرَجَ ولكنّ سلوكي لا سبيلَ لك إلى معرفته إلا إذا تزوّجْتني .

ارمانوسة : الآن صار كلامُك مثلَ سلوكك !

اودوقيانوس: كلاهما مهذَّبٌ ؟

ارمانوسة : كلاهما غيرُ مُهَذّب ؟

دومنتيانوس: آه من صوتك العذْب . يغفر كلَّ ذَنْب

ويمْسَحُ كل عَتْب .

ارمانوسة : متى جئت من الفيّوم ؟

دومنتيانوس: الساعة على الفور .

ارمانوسة : تريد ان ترابطَ في نقيوس ؟

دومنتيانوس: أكنت تسمَعِين حديثَنا ؟

ارمانوسة : من خلف تلك السِّتَارَةِ .

دومنتيانوس: لماذا لم تدخلي وتشْهَدي المجلس ؟

ارمانوسة : لا أحبُّ ان يغارَ بعضُ الناس .

دومنتيانوس: من ؟

ارمانوسة : خَطِيبي ؟

دومنتيانوس: اياي تعنين ؟

ارمانوسة : وهل لي خطيبٌ غيرُك ؟

دومنتيانوس: لعل لك حبيباً غيري .

ارمانوسة : لا يصح ان يكون حبيبي غيرَ خَطِيبي .

دومنتيانوس: اين صَلِيبي ؟

ارمانوسة : صليبك ؟

دومنتيانوس: الصليبُ الذي اهديتهُ اليك ؟

ارمانوسة : (تدرك من عينه انه قد عرف كل شيء) قدمته ليونس .

دومنتيانوس : يونس ؟

ارمانوسة : ذاك الفارس العربي الذي أنقَذَ حياتي لك.

دومنتيانوس: لي أنا أم لشخص آخر ؟

ارمانوسة : تبّاً لك .. ماذا تقول ؟

دومنتيانوس: ارِيني الصليب الثاني الذي عندك .

ارمانوسة : (تخرجه من باطن صدرها) هذا ؟

دومنتيانوس: صليب شطا ابن خالتك ؟

ارمانوسة : نعم أهداه إلي حين زرتهم في دمياط .

دومنتيانوس: كان هذا الصليب معك أيضاً يوم القافِلة ؟

ارمانوسة : فِيمَ كلّ هذه الاسئلة ؟

دومنتيانوس: أجيبي .

ارمانوسة : نعم كان معي .

دومنتيانوس: (يتنفس الصعداء) إلى الآن لَمْ تكذبيني

في شيء .

ارمانوسة : (في ارتياع) وكيف عرفت ؟

دومنتيانوس: المُحِب يعرف عن حبيبه كل شيء .

ارمانوسة : الحمد لله .

دومنتيانوس: (في ثورة مكبوته) اذن فلماذا تخلّصْت من صليبي واحتفظْت بهذا الصليب ؟

ارمانوسة : (تلحقها روعة ثم تتماسك) انت تَغَارُ من شطا يا دومنتيانوس صرّحْ بما في نفسك .

دومنتيانوس: أجل . أنت تحبينه .

ارمانوسة : ابن خالتي فكيف لا أحبه ؟

دومنتيانوس: بل تريدين ان تتزوجيه .

ارمانوسة : دومنتيانوس . ان كنت استبطَأْت زواجنا واردت ان تَتَنَصّلَ من الخطبة فصَارِحْني .

دومنتيانوس: (ينظر اليها مليا) لماذا اخترْتِ صليبي

فاعطيته ليونس ؟

ارمانوسة : لاني نذَرْت ذلك اليوم ان اهب له أعزّ شيء عندي .

دومنتيانوس: (بين التصديق والتكذيب) اعز شيء عندك .

ارمانوسة : أجل الست تراه جديراً بذلك ؟

دومنتيانوس: اذن فتعالَيْ معي إلى نقيوس .

ارمانوسة : لأرابط معك فيها واتعرضَ فيها لأخطار الحرب ؟

دومنتيانوس: (في اهتمام) بل لنَكُونَ قريباً من الاسكندرية فنَبْحَرَ منها إلى القسطنطينية .

ارمانوسة : القسطنطينية ؟

دومنتيانوس: هذا سِرٌّ بيني وبينك .. أنا لا اخاف احداً ولكني لا اريد أحداً أن يعرف . لقد ضاق صدري بهذه البلاد وأهلها الذين يُكِنُّون

لنا الحقدَ ، وبهذه الحرب التي لم نكسب فيها ولا معركة واحدة . لقـــد وَضح الأمر يا ارمانوسة . لم يَبْقَ للروم مقام في مصر فلنرحلْ عنها قبل أن يفوت الاوانُ فنجد أنفسَنا عبيداً للعرب. أنك تعرفين مكانتي عنـد قيصر فلن يُؤاخذني على شيء .. ان العمرَ يمضي يا أرمانوسة فدعينا نَعِشْ على ضِفاف البُسْفُور في سلام .

ارمانوسة : أنت تحب البسفور يا دومنتيانوس وأنا أحب النيلَ .

دومنتيانوس: لكن النيل كما ترَيْن ليس فيه سلام .

ارمانوسة : غداً يسود على ضفافـه السلام (تنظر من الشباك) هاهم اولاء قد عادوا ومعهم وفْدُ العرب .

دومنتيانوس: أجل .. أليس عجيباً ان يغلبنـــا هؤلاء البدو ؟

(تنسحب ارمانوسة ويخرج دومنتيانوس ليلحق بالقوم) .

(يـــدخل المقوقس والآخرون ومعهم عَشَرةٌ من وفْـــدِ العرب يتقدمهم رومانوس وعُبادَةُ بن الصامت وعبد الله ابن عمرو وابو رافع. فيرحب بهم المقوقس ويدعوهم إلى الجلوس فيجلسون) .

المقوقس : أين اميركم عمْروُ بن العـــاص ؟ لماذا لم يحضُرْ معكم كما وَعد ؟

رومانوس : ان اميرنا حريصٌ على ان يتم السلام بيننا وبينكم ولذلك لم يحضر .

المقوقس : وكيف ذلك ؟

رومانوس : قد وصل إلى علمه ان فيكم من أعـــدَّ له مكيدةً لاغْتِيالِه (ينظر إلى الاطربون فيطرق الاطربون) .

المقوقس : معـــاذ الله نحن المسيحيين لا نستَحِلُّ

الغدْر .

رومانوس : لولا حرصُه على السلام لحضَرَ .

المقوقس : ولو حضر لما وجد بيننا غيرَ السلام . ايكم أميرُ الوفد ؟

رومانوس : أنا اليوم اميرُ الوفد .

المقوقس : رومي يَرْأس وفدَ العرب .. هذا عجيبٌ .

رومانوس : ليس بعجيب عند المسلمين . ان الاسلامَ قد سوّى بيننا فلا فضلَ لاحد على أحد إلا بالتقوى .

الاطربون : (يُومىء إلى عبادة) ألم يكن هذا أميرُ وفدِكم في المرة السابقة ؟

رومانوس : بلى .

الاطربون : فقد قيل يومئذ إنه أفضلُكم وانه المقدَّم عليكم .

رومانوس : أجل انه لأفضلنا رأياً وعلماً واقدُمنا صحبة للنبي .

الاطربون : فكيف لم تجعلوه رئيسكم اليوم ؟

رومانوس : ان اميرَنا بلغه انكم تنظرون إلى الألوان وتُؤْثرون بعضَ الأجناس على بعض فانتخَب لكم هذا الوفدَ لتختاروا الجنسَ الذي يعجبكم واللون الذي يروق لكم . وقد ظن انكم تميلون إلى الجنس الرومي واللون الأبيض فاختارني رئيساً للوفد . فان لم اعجبْكم فاختاروا من شِئْتم من هؤلاء فيكون هو الرئيس الذي يُمضِي معكم الاتفاق .

(ينظر الجميع مشدوهين فاغري الافواه) .

رومانوس : (يواصل حديثه) هذا وهزر من الفرس . وهذا أصْحَبَة من الحبشة وهذا وَرْدَان من الأرْمنَ وهذا أبو رافع من القِبْط .

الجميع : من القبط ؟

رومانوس : أجل من القبط من مدينة بِقْيوس . وهذا

عبد الله بن عمر ابن امير المؤمنين .

الجميع : ابن امير المؤمنين !

رومانوس : كايّ واحد منا لا فرقَ بينه وبين أحد من المسلمين ، وهؤلاء الأربعة عبادة وأبو ذر وأبو الدرداء وأبو أيوب من كبار صحابة النبي عليه السلام . وأنا كما تعرفون كنت حاكماً على بُصْرى لقيصر فهَدَاني الله لدينه فصرْتُ من المسلمين .

المقوقس : هل لك يا رومانوس ان تختارَ لي رئيسكم ؟

رومانوس : حباً وكرامة .. هذا عبادةُ بن الصامت الذي اختاره اميرنا من قبل .

المقوقس : أحسنت يا رومانوس .

رومانوس : والآن أيها السيد البطريق علام عوّلتم ؟

المقوقس : رأينا ان نمضِي الاتفاق معكم ولكن بشرط

رومانوس : ما هو ؟

المقوقس : ان يكون نفاذهُ معلّقاً على رَضا القيصر

به . وإلى أن يجيء جَوابُ القيصر من ارض الروم تتوقفُ الحربُ بين الفريقين ويبقى كلُّ فريق حيث هو .

(يتسارّ عبادة ورومانوس هنيهة) .

رومانوس : قد قبلنا أيها البطريق على أن يكون نفاذه معلّقاً كذلك على مُوافقةِ امير المؤمنين .

المشهد العاشر

القصر الكبير بالقسطنطينية .
يرى هرقل جالساً مع مارتينة على العرش
وعنده سرجيوس والمقوقس واودوقيانوس
ودومنتيانوس .

سرجيوس : ألم تقلْ عن المسلمين انهم لو ارادوا أن يزيلوا الجبالَ لأزالوها .

المقوقس : بلى قلت ذلك .

سرجيوس : كأنك ترى أن دينهم هو الدين الحق .

المقوقس : لو كنت ارَى ذلك لأسلمْت ولما وقَفت هذا الموقف المهين .

سرجيوس : هذه كلمةٌ كبيرة لا يقولها عنهم الا من يؤمن بدينهم .

المقوقس : او مَنْ يُؤمن بقُوّة إيمانهم . لقد شهدت

يومئذ حادثاً لن أنساه مدى الحياة وهو الذي أنطقني هذه الكلمة .

مارتينة : أقصُصْ علينا ما حدَثَ يا قيرس .

هرقل : أجل ما حدث .

المقوقس : كنت يا مولاي القيصرُ اطلع من اعلى الحصنِ ذاتَ يوم على الأرض التي أمامنا ، فاذا رجلٌ طُوال أسودُ يصلّي في العراء بخُشُوع ، وحصانه واقفٌ بقُربه كأنه يصلي معه ، وإذا جماعةٌ من حَرَس الحصن قد خرُجوا لِيغْتَالُوه وهو ساجدٌ . فَهَمَمْتُ والله ان أصيحَ بهم لِيكفُّوا عنه وإذا هو قد هبَّ فوثَبَ على حِصانه في سُرْعَة البرقِ وشهَر سيفه في وجوههم فولّوا مدبرين وجعلوا يلقون مَناطقهم وحلْيتَهم في طريقه ليَشْغلوه بها عن طلبهم فما نجّاهُم منه إلا الحجارةُ التي

أُلقِيَتْ عليه من مجانيقِ الحصن .

مارتينة : حادثٌ رائع حقاً وددت لو شهدتُه معك !

المقوقس : انتظري يا مولاتي حتى اكمل لك القصة .

مارتينة : هل بَقِيَ منها شيء ؟

المقوقس : بقي منها ما هو ارْوَع . لما رآهم دخلُوا الحصنَ ورأى الحجارةَ تُقْذف عليه عطف جوادَه فسار به هوناً حتى بَلغ ذلك الموضعَ الذي كان يُصَلّي فيه فنزل عن فرسه وعاد إلى صَلاتِه وخُشُوعِه ولم يلتفِتْ إلى ما أُلقي في طريقه من المناطق الثمينة والحِلْية ، ويخرج رجالُنا الى متاعهم يجمعُونه فتركَهم ولم يُلْقِ اليهم بالاً وقد غابَ في صلاته عمَّا حوله .

سرجيوس : انما قلتَ هذه الكلمة لرجالِنا لتقنعَهم بقبول الصلْحِ مع العرب .

المقوقس : أجل لقد كنتُ حريصاً على عَقْد هذا

الصلح لأنه يُعْطِينا هُدْنة نَتَنَفَّسُ فيها الصُّعَداء ولا يلزُمنا آخرَ الأمر بشيء إلا بعد عَرْضه على مولاي القيصر وموافقتِهِ عليه .

سرجيوس : هذا كان رأيُكَ أنتَ وحدك . اما الآخرون فكان لهم رأيٌ آخر في هذا الصلح .

المقوقس : علامَ اذن وقّعوا عليه ؟

سرجيوس : أجبْ يا اودوقيانوس .

اودوقيانوس: كانوا مكرَهين على ذلك إذ كانوا يعلمون انكَ باطشٌ بهم ان لم يفعَلوا .

المقوقس : فهم اذن جُبَناء . والله لئن خافُوا بطْشي وأنا شيخٌ كبير اعْزَلُ لا سلاحَ لي إلا السلاح الذي في أيديهم انهم من بطش اعدائهم لأَخوفُ !

مارتينة : لقد اتّضحَ الآن ان المقوقس ليس مَسْئولاً

وحده عن الصلح الذي عقدَه مع العرب
فاما أن تُعاقِبَهم جميعاً يا مولاي القيصر
أو تسامِحَهم جميعاً .

سرجيوس : هذا ما كنت أخشاه . لقد سَحَركُم
ببيانهُ حتى أوْهَمكم انه بَريءٌ وان
الآخرين هم المذنبون . وانه ساحرٌ يقلبُ
الحقَّ باطلاً والباطلَ حقاً من حيثُ لا
تشعرون .

المقوقس : اني اعيذُ مولاي القيصر الا يُميِّزَ بين الحق
والباطل . انها اذن لكارثةٌ .

هرقل : اكنت تريد مني يا سرجيوس ان أحكم عليه
بالموت دون ان آذَنَ له بالمُثول بين يدي
لأسمَعَ ما عنده ؟

سرجيوس : اذن للقيَ جزاءَه يا مولاي قبل ان
يَنْفُثَ فينا سحْرَه .

المقوقس : بل خَشِيتَ على باطلك ان تنْسِفَهُ

صوْلَةُ الحق .

سرجيوس : اذن فَهاتِ ما عندك يا اودوقيانوس .

اودوقيانوس: (يخرج رسالة من بين ثيابه فيناولها له)
هَاكَ يا سيدي البِطْريق .

هرقل : ما هذا ؟

سرجيوس : هذا دليلُ الخيانة الذي لا ينقضُه سِحْرُ
ساحِرٍ . لقد اطلعَني عليه اودوقيانوس
لأرفعَه إلى مولاي القيصر فقلت له اطْوِهِ
عندك فما ينبغي لِمثل هذه الفضيحة
الشائنة ان تُنْسَب جِهاراً إلى رجل
كبير المقامِ من رجال الكنيسة والا ضاعت
عَقيدةُ الناس في الكنيسة . ولكن الخائنَ
تمادَى في غيِّه فلتَحُلَّ به الفضيحةُ
ولتَنْزِلْ عليه اللَّعْنَةُ . (يناول الرسالة
لهرقل) هذا يا مولاي كتابٌ من قائد العدو
بَعثَهُ إلى قِيرس .

هرقل : (ينظر في الرسالة عليَّ بالترجمان العربي .
(يخرج الحاجب ثم يعود بالترجمان العربي)

هرقل : اقرأ هذا الكتابَ (يناوله الرسالة) .

الترجمان : من عمرو بن العاص أمير العرب إلى المقوقس عظيم القبط .
أما بعد فقد أتاني كتابُك وفهمْتُ ما فيه وقد وافَقْتُ على مَطْلَبِك الذي طلَبتَ فاسْعَ سَعْيَك حتى تحمِلَهم على الاتفاق معنا على دَفْعِ الجزْية ولك عليَّ عهدُ الله حينَئِذٍ ان اجْعَل لك مُلكَ القِبطِ مُسْتَقِلاً عن سلطان الروم ، وأن أوالي من والاكَ ، وأعادِي مَن عاداكَ والسلام .

هرقل : ما تقول في هذا يا قيرس ؟

المقوقس : مولاي قَسماً بالكتاب المقدس ما جاءني هذا الكتابُ ولا اعلمُ شيئاً عنه وقد رأيتُ

تحامُلَهم عليَّ فليس بعَسِير عليهم ان يزوّرُوه .

سرجيوس : مَنْ ذا يستطيعُ أن يُزَوّر مثلَ هذا الكتاب بلغتِهم ؟

هرقل : ماذا ترى في الكتاب يا ترجمان ؟ هل يمكن أن يُزَوّرَه أحدٌ من الروم ؟

الترجمان : كلا يا مولاي هذا أسلوب عربي مبين لا يمكن ان يكتبَه غيرُ عربي .

المقوقس : اذن فلعلَّ قائدَ العرب وهو ذُو كَيْدٍ عظيمٍ قد كتبَ هذا الكتابَ ليكِيدَ لي به عندك فتعزِلَني فيخلُو له الجوُّ . فاسألْ يا مولاي مَن جاء به كيف وصل اليه ؟

اودوقيانوس: وقَعَ في يد الاطربون يا مولاي فارسَلني به اليك .

المقوقس : وكيف وقعَ في يده ؟

اودوقيانوس : بَصُرَ الاطربون ذاتَ ليلة برجل من القِبْط يتسلَّلُ نحو مَقَرّك في الحِصْن فارْتاب به فأمْسَكَه فوجدَ معه هذا الكتاب .

المقوقس : فعلامَ لم يخبرني به ؟

اودوقيانوس: رأى ان يرفعَه إلى قيصر ليعاقِبكَ على خيانَتِك .

هرقل : الآن أدركتُ لماذا أمضَيْتَ ذلك الصلحَ مع العرب .

المقوقس : مولاي هذه مكيدَةٌ دبّرها الاطربون ورِفاقه .

سرجيوس : تارةً تقول دبَّرها قائدُ العرب وتارة تقول دبرها الاطربون .

هرقل : الآن ثبتَتْ عليك خيانةُ الدولة يا قيرس.

سرجيوس : وخيانَةُ الدِّين كذلك . لقد اراد أن يُسلِّم مصرَ لاعداء دين المسيح .

(تنظر مارتينة إلى دومنتيانوس نظرة ذاتَ معنى) .

دومنتيانوس: مولاي القيصر هذا الكتاب مزور على البطريق قيرس .

اودوقيانوس: (يثور في وجهه) كذبت . انك تدافعُ عنه من أجل حبِّك لارمانوسة . آثَرْت حبَّك لهذه القِبْطِية على الولاءِ لقيْصر .

دومنتيانوس: واذا اعلنتُ لكم الآن انني اصبحتُ لا أحبُّها وان كل شيء بيني وبينها قد انتهى؟

اودوقيانوس: كلا انك لم تزَلْ تحبها ولكنهم هم الذين رفضُوك فاردْتَ بدفاعك هذا ان تستميلَهم اليك .

هرقل : ويلٌ لك يا قيرس ألم آمرْك بان تزوجها لدومنتيانوس ؟ أفعَصيْتَ أمري ؟

المقوقس : مَعاذ الله يا مولاي ان أعصي أمرك .

اودوقيانوس: قد عصى أمرَك يا مولاي فيما هو أعظمُ .

هرقل : فلم لَمْ تزوِّجوها له حتى اليوم ؟

المقوقس : لولا غزْوُ العرب للبلاد لكان هذا الزواجُ قد تَمَّ منذُ شهور ولكن ارمانوسة لم تَشأ ان تقيم عُرسها والبلادُ في ما تَمِ .

اودوقيانوس: بل أبت هي أن تتزوَّجَ لانها تريد ان تتزوَّجَ ابن خالتها شطا بن الهاموك .

هرقل : ويل لها كيف جَرُؤت على ذلك ؟ كيف جَرُؤت على تحدِّي أمري ؟

دومنتيانوس: كلا يا مولاي القيصر انها لم تأبَ ان تتزوجني ولكنني علمت ان ابن خالتها هذا كان يحبُّها فرأيتُ أن اتركها له فهو أحقُّ بها مني .

هرقل : دعني اذن منها لا شأن لي بما بينك وبينها ، ولكن كيف زَعمْت ان هذا الكتاب مُزوَّر ؟

دومنتيانوس: عندي الدليلُ على ذلك يا مولاي القيصر .

اودوقيانوس: هَيْهات .

هرقل : ما دليلُك ؟

دومنتيانوس: الرجلُ العربي الذي كتَبَه .

هرقل : ماذا تقولُ ؟

دومنتيانوس: قد احضرتُه مَعِي يا مولاي فَهل ادعُوه ليدْخل ؟

هرقل : اسرعْ به .

(يخرج دومنتيانوس ثم يعودُ ومعه رَبيعة ابن أُمَيَّةَ بن خَلَف وهو سَكْرَانُ يتطَوَّح) .

ربيعة : هل أنا الساعة في حضْرَةِ القيصر ؟

دومنتيانوس: أجل يا ربيعة .

ربيعة : عِمْ صباحاً يا قيصر الروم يا اعظم ملوك الأرضِ . تريد أن اخبرَك بالحقيقَة ؟ احْمِني أولاً من بطْش هذا الرجلِ وأعوانِه .

(يُومىء إلى اودوقيانوس) .

هرقل : قد حَمَيْتك يا ربيعة . فهل تعرفُ هذا الرجلَ ؟

ربيعة : هو الذي أمرني فكتَبْتُ له جوابَ عمرو ابن العاص إلى المقوقس .

هرقل : هذا الكتاب ؟ (يُريه الرسالة) .

ربيعة : نعم هذا هُو .

هرقل : هذا خطُّك أنت ؟

ربيعة : نعم يا مولاي القيصر .

دومنتيانوس: عندك الأصلُ الذي باللُّغَة الرومية ؟

ربيعة : نعم (يخرجه من بين ثيابه) .

هرقل : (للترجمان) خُذْه منه وَوازنْ بينه وبين الكِتاب .

الترجمان : (ينظر في الكتابين) طِبْق الأصل يامولاي .

دومنتيانوس: أتدري يا مولاي القيصر خطُّ مَنْ هذا ؟

هرقل : خطُّ مَنْ ؟

دومنتيانوس: خط أخي اودوقيانوس فهُو الذي زوّرَ هذا الكتاب .

اودوقيانوس: بل املاهُ الاطربون عليَّ فكتَبْتُه كما أملاه .

مارتينة : اهكذا يا اودوقيانوس تستَغِلّ قرابَتك مني ومكانَتك عندي في مثلِ هذا العمل الشّائن ؟

اودوقيانوس: مولاتي القيصرة لم يبقَ عندي من شك ان البطْريق قيرس يعملُ من أجلِ القِبْط ويخُونُ قيصرَ في سبيلهم ولذلك ابغَضتُه ورأيْتُ حقاً عليّ ان اسْقِطَه بأيِّ سبيلٍ .

سرجيوس : وأنا أيضاً لم يَبْقَ عندي من شك ان البطريق قيرس قد خان الدينَ المسيحيّ في مصر من أجل قومِه القِبْط .

المقوقس : لن استَنْكِفَ بعد اليوم من نِسْبَتي إلى

القبط . أنا قِبْطِيٌّ صَمِيمٌ أقولُها بمَلءِ فَمِي على رؤوس الاشهاد !

سرجيوس : ارأيت يا مولاي القيْصَر كيف اقرَّ على نفسه بالخيانة .

المقوقس : الخيانةُ يا مولاي القيصر هي ما كنْتُ فيه إذ كنتُ اضْطَهِدُ القبط من اجل أن احملَهم على المذْهبِ الذي ابْتَدَعَهُ سرجيوس فملأتُ قلوبهم بذلك حِقْداً عليك وعلى سُلْطانِك .

سرجيوس : بل خُنْتَ القيصر وخنتَ الدينَ المسيحيَّ من أجل قومِك القبط .

المقوقس : اما خيانةُ قيصر فما أهوَنَها من تُهْمَة لا برهانَ عليها الا هذا الكتابَ المزوّر ، واما خيانةُ الدين المسيحي فبيني وبينَها بُعْدُ ما بيْن السماءِ والأرضِ !

المشهد الحادي عشر

خيمة عمرو بن العاص أمام حصن بابليون . يرى عمرو واقفاً يتطلع إلى الحصن ومعه وردان وابو رافع وشطا بن الهاموك متنكراً في زي عربي وقد حبسوا أنفاسهم كأنما يتوقعون أن يسمعوا شيئاً .

عمرو : اللهم أيِّد الزبير بنصر من عندك . اللهم انصرْه ومن معه .

شطا : لو كنت أذنت لي أيها الأمير لصَعدتُ معه رائداً له .

عمر : كلا يا شطا .. يكفي ان أريْتَه السبيل ونحن هنا بحاجة اليك .

شطا : اني أُشْفِقُ عليهم من السلالم المسدودة والسراديب المضلة .

عمرو : لا تخف فانَّ معهم رومانوس وهو يعرفُ هذه الأمور .

ابو رافع : ان بالحصن لمستضعفين من القبط يعذبهم الروم فان يردْ الله بهم خيراً يُنَجِّحْ مهمة الزبير ورفاقه .

عمرو : احسنت يا ابا رافع . هذه أرْجى كلمةٍ سمعتها اليوم .

ابو رافع : أما انهم لمِن أجلنا يعذَّبُون .

شطا : أجل .. لا تَنْسى أيها الأمير ما وعدتني به إذا تحقَّقَ لكم النصر .

عمرو : في الاطربون .

شطا : نعم فهو رأس البلاءِ .

صوت : (يسمع من جهة الحصن) الله اكبر !

شطا : اسمع أيها الأمير !

عمرو : هذا صوتُ الزبير قد كبَّر من فوق الحصن فكبرُوا معه .

(يكبر الأربعة فيتعالى التكبير من كل مكان) .

وردان : انظر يا ابا عبد الله الباب الصغير قد فُتح !

شطا : عجباً .. لكني دلَلْتُهم على الباب الكبير .

ابو رافع : صَه .. هذا رجل رومي قد خرج .

شطا : هذا جورج قائدُ الحامِية .

عمرو : (صائحاً) إياكم أن تَمسُّوه بسُوء .. انه مُسْتامَنْ .

ابو رافع : وأين ذهب الزبيرُ ورفاقُه ؟

وردان : ما زالوا يكبرون داخلَ الحصن .. الا تسمعون أصواتهم ؟

جورج : (صوته) أنا جورج قائدُ الحصن اعرضُ عليك الصلحَ يا أمير العرب .. هل لي أن أتقدم اليك ؟

عمرو : تقدم .

شطا : أخشى أن يعرِفَني أيها الأمير .

عمرو : أختَبيءْ خلفَ الخيمة ان شئْت .

شطا : لا تقبل منه شيئاً إلا إذا تعهَّد لك بتسليم الاطربون .

(يتوارى شطا خلف الخيمة)

وردان : انظروا ! الباب الكبير فُتِح !

أبو رافع : ذاك الزبير وصحْبه .

الزبير : (صوته) هلموا أيها المسلمون . ادخلوا أيها المسلمون ..

عمرو : (باعلى صوته) على رِسْلك يا أبا عبد الله ..

الزبير : (صوته) ويحكم ما تنتظرون ؟ يا عمرو بن العاص ما تنتظر ؟

عمرو : رويدك يا حواري رسول الله هذا قائدُهم جورج يعرِضُ علينا الصلح .

الزبير : (صوته) الصلح وقد فتحْنا البابَ عَنْوة ؟

عمرو : ماذا تعرض علينا أيها القائد ؟

جورج : ان يجلو الروم جميعاً عن الحصن .

عمرو : وعن الجزيرة ؟

جورج : وعن الجزيرة . على أن يأخذُوا معهم ما يشاؤون من الأمْتِعَة ؟

عمرو : دون الذخائِر والأسلحة ؟

جورج : هذه ضمْن الأمتعة .

عمرو : كلا لا نقبلُ .

جورج : فليكنْ ما تريد .

عمرو : دون الذخائر والاسلحة .

جورج : دون الذخائر والاسلحة .

(يدخل الزبير ورومانوس)

الزبير : الصلحُ يا عمرو وقد عَلَوْنا السوَر وأنمنا الحرس وفتحنا البابَ عنوة ؟

عمرو : (ينتحي بالزبير جانباً فيناجيه بصوت خافض) دعني اعانقك يا حواري رسول الله وأقبّل رأسك . ان الله قد رزَقَنا الفتحَ بفضْل شجاعَتِك .

الزبير : دعني من هُنَياتك يا عمرو . الصلح وقد اهلك اللهُ قيصر ؟

عمرو : ذلك أحرَى ان نقبلَ الصلحَ . لقد كان قيصر هو الذي رفضَه .

الزبير : الآن وقد ملكنا عليهم الباب ؟ لقد كانوا يتوارَوْن أمام هذه الأسوار فها نحن اولاء قد فتحنا الباب لننازِجزَهم القتالَ .

عمرو : أليس خيراً من ذلك يا أبا عبد الله ان يكفُونا قتالَهم ويجلُوا من الحصن ويتركوه لنا بما فيه ؟

الزبير : ربما يريدون ان يخدَعوك .

عمرو : (مبتسماً) أما هذا يا ابا عبد الله فسأكفيكموه. اننا سنُرابط على هذا الباب الذي فتحته ولن نبرَحه حتى يتمَّ جلاؤهم عن الحصن .

الزبير : لكن لو استولَيْنا على الحصن عنْوة كان ذلك أهْيَبَ لنا في صدورهم .

عمرو : كلا يا أبا عبد الله . كنا سنقاتلُهم وهم في حصونهم وسنفقِد كثيراً من رجالنا ونحن اليهم قليلُو العدد ، وأمير المؤمنين لا يقدر أن يمدَّنا الآن في هذا القَحْط الشامِل ببلاد العرب .

الزبير : ويحك يا ابن العاص متى كنا نقاتلُهم على القِلَّة والكَثرة ؟ انما نقاتلُهم على النِّيَّة والإيمان .

عمرو : اننا نريد ان نفرغَ من هذا الحصن لننساح بعده في سائِر القُطْر فنفتحَ مدنَه كما فتحْنا اثْريب ومُنوفَ .

الزبير : هذا الحصن هو رأسُ القطْر فان انتَزعناه منهم بالقهْر والغلَبَة دان لنا سائرُ القطر .

صوت : (يرتفع من خلف الخيمة) ايها المسلمون أين اميركم عمرو بن العاص ؟

عمرو : انظر يا وردان من هذا ؟

(يخرج وردان ثم يعود) .

وردان : هذا رسولُ امير المؤمنين .

عمرو : مرحباً برسول أمير المؤمنين .. تقدّم يا اخا العرب .

(يظهر الرسول)

الرسول : السلام عليك يا امير الجيش .

عمرو : وعليك السلام ورحمة الله .. أين الرسالةُ ؟

(يتناول الرسالة فيفضّها ويتصفحها فيربدّ وجهه قليلاً ثم يستنير ويقدّم الرسالة للزبير) .

الزبير : (يتصفحها فيربدّ وجهه) أنت أميرنا يا ابن العاص فافعل ما ترى فيه صلاحَ المسلمين .

عمرو : بُوركت يا حوَاريّ رسول الله .. لا عدمْتُك .. (يلتفت إلى جورج ويقبل عليه) السْتَ ترَى أيها القائد انكم قد تأخرتم في طلب الصلح فهلاّ عرضْتُموه

علينا قبل اليوم ؟

جورج : ما كان في وُسْعنا ذلك أيها الأمير .

عمرو : ماذا كان يمنعُكم ؟

جورج : الاطربون وجماعَتُه . انهم ما زالوا حتى الآن يعارُضون في الصلح .

عمرو : فماذا أنتم صانعون بهم ؟

جورج : إذا وافَقْتُم انتم الآن رجونا ان ينضمّ الجنودُ الينا وينفَضّوا عنهم .

عمرو : وان لم نُوافِقْ ؟

جورج : اتّحدْنا معهم لنُواصِلَ قِتالكم .

عمرو : بعدما ملكْنا عليكم البابَ الكبير ؟

جورج : ان بالحصن أبواباً أخرى أيها الأمير .

عمرو : وتُسَلّمون الينا الاطربون ؟

جورج : كأنّكَ لا تريد ان يَتِمَّ الصلحُ بيننا أيها الأمير ..

عمرو : بلى ولكن لا بُدّ من تَسْليم الاطربون .

جورج : انك إذ تطالبنا بتَسْليمه انما تُؤيّد رأيه ورأي أنصارهِ في معارَضة الصلح .

عمرو : كلا لا ادَعُ هذا المجرم يفلتُ من عقابه اليوم ابداً .

جورج : أيها الأميرُ ان كنت تعُدّه مجرماً فانه يعُدك كذلك .. هكذا الحربُ ..

عمرو : كلا انا لا نعدُّه مجرماً لأنه حارَبنا ، ولكن ـ لأنه عذّب هؤلاء ـ المستضعفين من القبط وقطع ايديهم ومثّل بهم فلا والله لا اقبل صُلْحاً يُعْفِيه من العقوبة ويخلّيه من التبعَةِ .

جورج : ليس لك ان تكلفنا ما لا قِبَل لنا به .

عمرو : فليعلم الجميع ان هذا الصلحَ لا يشمَلُ الاطربون ولا يَحْقِنُ دَمَه .

جورج : اذن يتعصّب له أنصارهُ ويتشبّثُوا بمعارَضةِ الصلح .

عمرو : اذن نقاتلُهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

(تسمع جلبة من ناحية باب الحصن وضَوْضاءُ) .

جورج : ما خطبكم ؟ ماذا جرى ؟

صوت : هذا الاطربون قد جئنا به ليوقّعَ الصلح معك .

الاطربون : (صوته) ويلكم يا خونَةُ يا جبَناءُ ليعاقِبَنّكم القيصر على خيانتكم .

عمرو : أهؤلاء رجاله ؟

جورج : نعم .

عمرو : الحمد لله .

(يدخل خمسة من الرجال الاشداء يسوقون الاطربون بينهم وقد شَهَروا سيوفَهم لتهديده) .

عمرو : هيه يا اطربون ؟ كيف رأيت عاقبة الغَدْرِ والبَغْي ؟

الاطربون : لا تفرحْ كثيراً يا عمرو .. لولا هؤلاء الحَمْقى ما لَوّثتُ يدي بتوقيعِ الصلح معك .

عمرو : اخبره يا جورج بالشرط الذي اشترطتُه لعَقْدِ الصلح معكم .

جورج : انه اشترط علينا تسليمَك أنت يا اطربون اليه .

الاطربون : تسليمي أنا ؟ هذا لا يكونُ .

عمرو : اذن فلا صُلْحَ .

الاطربون : ذلك ما نريد .

الرجال : ما حملك على هذا أيها الأميرُ ؟

عمرو : سَلُوا القِبْطَ الذين عذّبَهم في الحصن وقَطّع أيديهم ونكّلَ بهم أيَّ تنكيل ؟ انه مجرمٌ ولا صلحَ بيني وبين المجرمين .

الرجال : (ينظر بعضهم إلى بعض) ...؟

الاطربون : ويلكم ماذا أنتم فاعلون ؟

الرجال : لا بُدَّ لنا أن نعقد الصلح .

الاطربون : وتَقْبَلون تسليمي ؟

الرجال : لا مَنَاصَ من ذلك .

الاطربون : (يخطف خِنْجراً من بعض اصحابه فيُغْمدُه في صدْره ويقع على الأرض) بيدي أنا لا بيدك يا عمرو . لن تنالَني يدُك إلا جثة هامدة ...

(يموت)

احدهم : يا لك من شقيٍّ .. افي يوم عيد الفِصْح المقدس تقتل نفسك ؟

عمرو : احملوا جُثّته إلى من عذّبَهم من القبط ليرَوا كيف انتقمَ اللهُ لهم منه . واذهب أنت يا رومانوس مع القائد جورج فاكتب معه كتاب الصُّلْح .

(يحملون جثة الاطربون ويخرجون بها . ثم يخرج جورج ورومانوس)

(يظهر شطا من خلف الخيمة)

عمرو : كيف رأيت يا شطا ؟

شطا : الحمد لله أيها الاميرُ .. الحمد لله الذي انتقم لخالي المقوقس منه .

عمرو : اين أنت يا رسولَ امير المؤمنين ؟

الرسول : لبيك يا أمير الجيش .

عمرو : الحمد لله لقد جئت في وقت عظيم .. لتحملنّ إلى امير المؤمنين انشاء الله بشْرى فتح بابليون .

الرسول : اعان الله امير المؤمنين انه عن ذلك لفي شُغل .

عمرو : ألم يَزَلْ الحال شديداً ؟ ألم تظهر بوادرُ الفرج بعد ؟

الرسول : بل تضاعف الجدبُ والقحْطُ حتى صارت الأرض كلها حَرَّة سوداء كأنما احترَقَ سطحُها احتراقاً فهي تسفى رماداً في

الوجوه .

الزبير : لا حول ولا قوة إلا بالله .

عمرو : خذ يا ابا رافع اقرأ كتابَ امير المؤمنين على المسلمين.

ابو رافع : (يتناول الرسالة) من عبد الله عمر امير المؤمنين إلى عمرو بن العاص بمصر . سلام عليك أما بعد . افتراني هالِكاً ومَن قِبَلي وتعيشُ أنت ومن قِبَلك .. فياغَوْثاه يا غوثاه يا غوثاه .

الجميع : يا غوثاه يا غوثاه .

عمرو : ما تَرَوْن يا قوم ؟ اني اريد أن ابعثَ إلى امير المؤمنين بغوث عظيم .

الزبير : عجّل يا ابا عبد الله ان استطعْت .

عمرو : ماذا ترى يا ابا رافع ؟ هل عندك من سبيل ؟

ابو رافع : نعم كفيت يا ابن العاص . لنأخذنّ من أهل

مصر وعين شمس ومنوف واثريب ما نريد من القمح على ان يُحْسبَ ذلك من خَراجِهم لعامهم هذا .

عمرو : بُوركتَ يا مولى رسول الله . انطلق اليهم في الحال فاتّفِقْ معهم على ذلك . وأنت يا رسولَ امير المؤمنين ارجعْ من غدِك إلى أمير المؤمنين فبشّره بفتح بابليون وقل له اتاك الغوثُ ، فلبِّثْ لبِّثْ .. لأبعثَنَّ اليك بِعِيرٍ أولها عندك وآخرها عندي .

(ستار)